﴿* مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الرّوم: 31 - 32]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

الـرّبـط بين الالتزام بالفطرة والإقبال على الدّين الحقّ دون شرك ولا ضلال

حثّ الله ﷻ في الآية السّابقة على إقامة الوجه للدّين حنيفًا، مبيّنًا أنّه فطرة الله التّي فطر النّاس عليها، ولا تبديل لخلق الله، وأنّ ما عليه أغلب النّاس من الإعراض عن الحقّ فهو راجع إلى عدم العلم، فجاءت هذه الآية هنا لتحثّ النّاس على لزوم الحقّ والإنابة إليه، لتتجلّى فيهم فطرة الله، ولا يكونوا من المشركين، ففي الآية مزيد تحريض للإقبال على هذا الدّين القيّم والتمثّل به، والحنف عمّا عداه[1]، فيكونون مُنيبينَ، راجعين إليه بالتّوبة والإخلاص، والتّقرّب بالصّلاة، دون شرك مضلّ، ولا تفرّق في الدّين مخلّ، بمنأى عن الفرح الزّائل، والتّشرذم والتّحزّب لما سوى الله؛ إذْ لا نجاة إلّا في كنفه وحماه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُنِيبِينَ﴾: (نوب) أصلٌ يدُلُّ على اعْتيادِ مَكانٍ ورُجوعٍ إليْهِ[2]، نابَ نَوْبًا ونَوْبَة، وسمّي النّحل نَوْبًا لرجوعها إلى مقارّها، والإنابة إلى الله تعالى: الرّجوع إليه بالتّوبة وإخلاص العمل، قال تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ٢٤﴾ [ص: 24][3]، وفلانٌ ينتاب فلانًا، أي: يقصده مرّة بعد أخرى، والمُنيبُ مَنْ أنابَ إذا رَجَعَ[4]، وتاب، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 99، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 85.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نوب).
(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نوب).
(4) ابن عباد، المحيط في اللغة: (نوب).

رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزّمر: 54]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الرّوم: 33]، والّذي في القرآن من هذا التّركيب كلُّهُ من الإنابة، بمعنى: الرّجوع إلى الله ﷻ[1]، وهو معنى اللّفظة في الآية، أي: أنّهم سيكونون راجعين إليه في كلِّ ما أمَر به، ولا يخرجون عن شيء مِنْ أمْرِه[2].

2) ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: أصلُ الوقاية: دَفْعُ شيءٍ عن شيءٍ بغيرِه، يُقال: وقى نَفْسَهُ من العَدوِّ بِسلاحه، أيْ: دَفَعَهُ به، والوقايةُ: ما يقي الشَّيءَ، واتَّقِ اللّهَ: تَوَقَّهُ، أي: اجْعَلْ بينك وبينه كالوقايةِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «اتَّقوا النّارَ ولَوْ بِشِقِ تَمْرَةٍ»[3]، وكأنَّهُ أرادَ: اجعلوها وقايةً بينكُم وبينها[4]، والمُتَّقي من اتَّصَفَ بالاتِّقاءِ وهو طلَبُ الوِقايةِ، وهو الْحَذِرُ الْمُتَطَلِّبُ لِلنَّجاةِ مِنْ شَيْءٍ مَكْروهٍ مُضِرٍّ[5]، والتَّقْوَى: اتِّخاذُ الوِقايَةِ والحِمايَةِ من الشَّيءِ، والاتِّقاءُ: تَكَلُّفُ الوِقايَةِ، وهيَ الصَّوْنُ والدَّفْعُ[6]، وتأْتي الوِقايَةُ بِمعنى الحِفْظِ مِن الأذَى والضَّرَرِ[7]، والمقصودُ بالاتِّقاء في الآيةِ: اتّخاذ وقاية من سخط اللّه.

3) ﴿وَأَقِيمُواْ﴾: (قوم) أصلٌ يدلُّ على انْتِصابٍ أوْ عَزْمٍ، يُقالُ: قامَ، يَقومُ، قَوْمًا وقيامًا، أي: وقَفَ وانْتَصَبَ، والقَومَةُ المَرَّةُ الواحِدَةُ، إذا انْتَصَبَ[8]، والإقامَةُ: الثَّباتُ والاسْتِقْرارُ، يُقالُ: أقامَ بِالمَكانِ، أيْ: ثَبَتَ واسْتَقَرَّ فيهِ، وتُطْلَقُ بِمعنى الدَّوامِ على الشَّيْءِ، كَقَوْلِهِم: أقامَ الشَّيءَ بِمعنى أدامَهُ[9]، ومِن مَعانيها: القيامُ بالشَّيءِ، مِن أقامَ الشَّيْءَ: إذا قَوَّمَهُ وسَوّاهُ، كَما تُطْلَقُ الإقامَةُ أيضًا ويُرادُ بِها: جَعْلُ القاعِدِ قائمًا[10]، قَوْلُهُ: "الصَّلاةُ الْقائِمَةُ، أي: الدائِمَةُ، وأقيموا الصَّلاةَ، أيْ: أديموها لِأوْقاتِها[11]، ولم يرد لفظ الصّلاة بالأمر إلّا مقرونًا بإقامتها؛ لأنّ الإقامة هي المقصد من الصّلاة، وأنّ ممارستها دون إقامتها،

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (نوب).
(2) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 185.
(3) رواه أحمد في مسنده، عن عدي بن حاتم ﷺ، رقم الحديث: (18253).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وقى).
(5) السّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (وقى)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 226.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 393.
(7) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (وقى)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التعاريف، ص: 340.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (قوم).
(10) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم، والزّبيديّ، تاج العروس: (قوم).
(11) بطّال الرّكبيّ، النّظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب: 1/ 64.

يذهب بغايتها، ويفرغها من جوهرها الرّوحيّ، باعتبارها صلةً بين العابد والمعبود، والمُرادُ بإقامَةِ الصَّلاةِ هنا: أداؤها أحسن أداء، وربط الصّلة بالله[1].

4) ﴿فَرَّقُواْ﴾: (فرق) أصلٌ يدلُّ على تمييزٍ وتزييلٍ بينَ شيئين[2]، والفَرْقُ: موضع المَفرِق من الرَّأس في الشَّعر، والفَرقُ: تفريقٌ بين شيئين فرقًا حتَّى يَتميّزا تمامًا، وتَفارقَ القومُ وافتَرَقوا أي فارق بعضهم بعضًا[3]، وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾، أي: تركوه، وقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: 29]، أي: فتحًا ونصرًا، قال الفرّاء: ومثله يوم الفرقان، أي يوم الفتح، ويقال للصّبح قد طلع الفرقان[4]، والفِرْقُ والفِرْقةُ والفَريقُ: الطّائِفَةُ مِنَ الشَّيْءِ المُتَفَرِّق، والفِرْقةُ: طائِفَةٌ مِنَ النّاسِ تميّزت بشيء مشترك بين أفرادها عن غيرهم[5]، والتَّفريقُ في الآية معناه: اختلافهم فيما يعبدونه، وفق اختلاف أهوائهم[6].

5) ﴿شِيَعًا﴾: (شيع) أصلٌ يدُلُّ على مُعاضَدَةٍ ومُساعَفَةٍ[7]، الشّيعة: الفِرْقَةُ، أو القَوْم يَجْتَمعونَ على الأمر، وبه فسَّر الزَّجاج قَوْله تَعالَى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠﴾ [الحجر: 10][8]، وشاعه الله تعالى بالسّلام شَيْعًا وأشاعه أتبعه، والسّلام كذلك، وشِعْت بالخبر شَيْعًا، وأشعته وأشعت به فشاع شَيعًا، أي ظهر وانتشر في النّاس[9]، والشّيعة أيضًا: أتباع الرَّجُل وأنصاره، وجَمعها شيَعٌ وأشْياعٌ جمع الجمع[10]، وكُلُّ قَوْمٍ أمْرُهُم واحِدٌ يَتْبَعُ بَعْضُهُم رَأْيَ بعضٍ فهُم شيَعٌ، ويُقالُ: هُم شيعَةُ فُلانٍ وشيعَةُ كذا من الآراءِ[11]، والشّيعُ في القُرْآن على أرْبَعَة أوجه: أحدها: الفِرَق، والثاني: الأهْل والنّسب، والثّالِث: أهل المِلَّة، والرّابع:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 200.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرق).
(3) الخليل، العين: (فرق).
(4) الهرويّ، كتاب الغريبين في القرآن والحديث: (فرق).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فرق).
(6) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 8/ 51.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شيع).
(8) الزّجاج، معاني القرآن: 3/ 174، وابن سيده، المحكم: (شيع).
(9) ابن القطّاع الصقلّي، كتاب الأفعال: (شاع).
(10) ابن سيده، المحكم: (شيع).
(11) الجوهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (شيع).

الْأَهْواء الْمُخْتَلفَة[1] والمقصود بالشّيَع في الآية: جَمْعُ شيعةٍ، وهي الفِرْقَةُ الَّتي أمْرُها واحِدٌ، ينصر بعضها بعضًا، على الفرقة الأخرى، والمعنى: كانوا مُتَفَرِّقين في دينهم ينصر كلّ واحد منهم حزبه.

6) ﴿حِزْبٍ﴾: (حزب) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ تَجَمُّعُ الشَّيْءِ، فمِنْ ذَلِكَ الْحِزْبُ الْجَماعَةُ مِنَ الناس، قالَ اللّهُ تَعالَى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53]، والطّائِفَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حِزْبٌ[2]، قوله تعالى جدّه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ﴾ [المجادلة: 19]، أي: جنده وجماعته، وقد تحزّب القوم: إذا صاروا أحزابًا وفرقًا[3]، وحَزَّبَ فلانٌ أصحابَه أحْزابًا، بالتّشديد، أي جَمَعَهم، والحِزْبُ بالكسر: النَّصيب، يقال: أعْطِني حِزْبي من المال، أي حَظِّي ونَصيبي، وتَحازَب القومُ: إذا مالَأ بعضُهم بعضًا، وأمرٌ حَزيبٌ، أي شديدٌ[4]، وأصلُ (حَزَبَ): يدلُّ على تَجَمُّعُ الشَّيءِ، فمن ذلكَ الحِزْبُ الجماعةُ من النّاسِ، والأحزابُ: كلُّ طائفةٍ هواهُم واحدٌ[5]، والمقصودُ بالحزب في الآيةِ: الفئة الّتي تجتمع على أمر واحد[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيَّن الحقُّ تعالى، أنَّ العبادة لا تُقبَل إلّا بالرُّجوع إليه ﷻ، والتَّمَسُّكِ بشرعه، وامتِثالِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهيه، وإقامة الصَّلاة على وجْهِها الأكمل، بعيدًا عن الشّرك ودواعيه، وترك التّفرّق في دين اللّهِ الَّذي فطَرَ العِبادَ عليه، وشَرَعَه لهم، بأن يكونوا فِرَقًا وأحزابًا، كُلُّ فِرقةٍ مِنهم، تسعى لنَصرِ ما معها مِن الباطِلِ، ومُنابَذةِ

الإخلاص لله والالتزام بالعبادة، بدل الإشراك والتّشرذم، واتّباع الهوى

(1) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر، ص: 378.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حَزَبَ).
(3) الهرويّ، كتاب الغريبين في القرآن والحديث: (حَزَبَ).
(4) الصّاغانيّ، التكملة والذيل والصلة: (حَزَبَ).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (حزب).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 73.

مَن خالَفَها، لنجد كلّ فرقة تزهو وتغتبط، بما عندها مِنَ الضَّلالاتِ والغلط، وهي تتوهّم أنَّها على هدى مستقيم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ فصل جملة ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ عمّا قبلها:

الإنابةُ إلى الله تجلٍّ للفطرة، وإقامة للدّين القيّم

ابتدأت جملة ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ باسم منصوب، ويمكن حمله على الحال؛ أي حال المقيمين وجوهَهم للدّين، فهم في إقامتهم وجوهَهم للدّين منيبين إلى ربّهم[2]، وإذا كان النّاس قد فطرهم الله على الفطرة التّي لا تبديل لها، فليكونوا منيبين إليه، حتّى تتجلّى فطرة الله فيهم، والخطابَ للنّبيِّ ﷺ لأُمّته؛ أي: أقيموا وُجوهَكُم مُنيبينَ إليه ولا تكونوا مشركين[3]، فلأجل تمييز المؤمنين عن المشركين، جاء الأمر بالإنابة والتزام الدّين، وتجنّب سعي المشركين، فأمر المسلمين عن طريق المصطفى المؤتسى به بإقامة وجهه للدّين حنيفًا، فحسُن بذلك فصل الآية، عمّا قبلها.

سرُّ التّعبير بلفظ ﴿مُنِيبِينَ﴾ دلالة وصيغة:

بيانُ أنّ مجانفة الباطل، والإنابة إلى الحقّ، هي جوهر الدّين

آثرت الآية لفظ ﴿مُنِيبِينَ﴾؛ لأنّ الإنابة رجوع وانقطاع إلى الله ﷻ[4]، وهي رجوع إلى الحقّ، والتزام به، كما أنّها انقطاع عن غيره من سُبُل الكفّار[5]، فصارت عودة والتزامًا، بما يجعل الأمر بالإنابة في معنى الآية السّابقة، وهي قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، فالإنابة هي إخراج القلب من ظلمات الشّبهات، وقيل: الإنابة الرّجوع من الكلّ إلى من له الكلّ، وقيل: الإنابة الرّجوع من الغفلة إلى الذّكر، ومن الوحشة إلى الأُنْس[6]، وصوغُه على هيئة اسم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 497، والواحديّ، الوسيط: 3/ 434، والسّمعانيّ، تفسير القرآن: 4/ 211، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 31، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 316.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 479.

(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 243.

(4) البيضاويّ، أنوار التنّزيل وأسرار التّأويل: 4/ 206، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 89.

(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 31.

(6) عرفة بن طنطاويّ، المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليليّ، ص: 234.

الفاعل دليل على رسوخ صفة الإنابة فيهم، ودوامها، وهو ما يناسب صدق التّوبة التي يَحثُّ عليه الشّارع سبحانه.

مرجعُ ضمير الجماعة في ﴿مُنِيبِينَ﴾:

اعتناءٌ بالمؤمنين بعد خطاب المصطفى الأمين

وجّهَ الخطاب في قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ﴾ إلى الجماعة، فالضمير راجع إلى جماعة المؤمنين من أتباع المصطفى[1]، وهم من أقبل على الحقّ اتّباعًا للرّسول الّذي أُمر في الآية السّابقة، أن يقيم وجهه للدّين حنيفًا، وهم من ستتجسّد فيهم فطرة الحقّ التّي لا تتبدّل، لا الكفّار الّذين لا يعلمون من أمر العقيدة الحقّة شيئًا، وفي ذلك إشارةٌ إلى الاعتناء بالمؤمنين، ومخاطبتهم مع رسول الهداية الأمين، رجاء "النّزوع عمّا اكتسبتموه من رديء الأخلاق، إلى تلك الفطرة السّليمة المنقادة للدّليل، الميّالة إلى سواء السّبيل"[2].

معنى (إلى) في القيد ﴿إِلَيْهِ﴾:

بيانُ منتهى الإنابة والإخلاص، وأثر الانقطاع والالتزام

قُيّدت الإنابة بحرف (إلى) والضّمير، ويدلّ حرف (إلى) على انتهاء الغاية، والمقصود بذلك تحديد المرجع الّذي إليه ينتهي المؤمن، وهو الرّجوع إلى جناب الحقّ ﷻ[3]، إخلاصًا وقصدًا، وانقطاعًا والتزامًا، ويخاطبهم، بما مُفاده أنّه إذا كان الكفّار يعرضون عن الحقّ، فأقبلوا أنتم عليه، وإذا كانوا ينقطعون عنه، فانقطعوا إليه، ممّا يجعل للإنابة قصدًا، ولقوّته أصلًا يرجع إليه وهو أصل الفطرة[4]، فالأوبة إلى الله إخلاص في القصد له، والتزام بدينه الّذي جاء به رسوله ﷺ، ودرجات تقوى في الاقتراب إليه سبحانه، وتقييد الوجهة هنا، بأن تكون الإنابة لله وحده دون سواه، وهي بذلك تمحيصٌ للاعتقاد، وتمحيضٌ للتّوحيد المراد، وتحديدٌ صارم للوجهة.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 390.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 89.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 89.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11420.

معنى (الواو) في قوله ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾:

بيانُ المنهج بعد تحديد المرجع، مفيد في الإبانة عن المراد

عُطف قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ على ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ بالواو، عطْفَ أمر على أمر[1]؛ أي (كونوا منيبين إليه واتّقوه)، هو أمر بالتّقوى بعد الأمر بالإنابة[2]، فالإنابة إلى الله وجهةً وانقطاعًا، وتَكمل بتقوى الله ﷻ؛ لأنّ التّقوى تورث الالتزام بالحقّ، وتؤتي ثمرات الفطرة في أصحابها، فحَسُن بيان منهج الإنابة بعد بيان مرجعها[3]، ومعنى ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أي خافوه تعالى؛ إذ عذابه شديد، فلا تتركوا دينه لأيّ دين، ولا طاعته لأيّ مطاع غيره تعالى[4].

سرُّ اختيار لفظ (التّقوى):

التّقوى وقاية تُقرّب إلى رضوان الخالق

اختارت الآية التّعبيرَ بلفظ التّقوى، في قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾؛ لأنّ التّقوى تدلّ على اتّخاذ وقاية ممّا يُكره، فصارت التّقوى تعبيرًا عن الوقاية من غضب الله وعقابه، وذلك بترك معاصيه؛ إشراكًا به، وإعراضًا عن آياته، بل المأمور به ملازمة طاعته، واتّباع هديه، واجتناب معاصيه[5]، وفي ذلك إشارة إلى مباعدة منهج الكفّار[6]، وفي اختيار لفظ التّقوى دون الخوف والرّهبة، إشارة إلى ما في الإسلام من اللّطف والأنس، وموافقة الفطرة والاطمئنان، فالتّقوى تقرّب إلى الحقّ بنيل رضوانه، والتزام إيمانه، والابتعاد عن كلّ ما يجلب الشّرور، وينأى بصاحبه عن الفعل الصّالح المبرور، إذ من اتّقى ربّه، انتحى سبيله، وأناب إليه، عَجلًا إلى مرضاته، ومسارعًا إلى طاعاته، فهي رأس الأمر كلّه، ثم إنّ إقامة الصّلاة لا تتأتّى إلّا إذا ظهرت أمارات التّقوى على المصلّي، وبذلك فإنّ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 479.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 259.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11420.
(4) أبوبكر الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 4/ 178.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 99، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 46.
(6) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 89.

الوصل بين ألفاظ الإنابة، والتّقوى وإقامة الصّلاة، دالٌّ على ملمح التّكامل بينها.

نكتةُ إسناد التّقوى إلى ضمير الجماعة:

الجماعة تُعين على التّقوى، وتشدّ الأزر في البلوى

أُسندت التّقوى إلى الجماعة، في قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾، ونكتة هذا الإسناد، هو ما في الجماعة من التّعاون مع الالتزام وتيسير سبل تحقيق مراد الله ﷻ، فالجماعة تُؤنس وتُصوّب وتُعين، ألم يقل الحقّ ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: 2]! في مقابل كثرة المعرضين عن الحقّ، فالمؤمنون شأنهم التّعاون والتّكاتُف، والفرد منهم لن يقاوم الشّرور المحيطة به، والأعداء المتربِّصين به وحده، بل لا بدّ، أن يشدّ إخوانُه أزره، ومعلوم أنّ سرّ قوّة الأمّة في تماسكها وتعاضدها، لذلك كان الأمر بالتّقوى والإنابة قبلها، مسندين إلى الجمع، ولم يقل "(منيبا إليه واتّقه)، بل قال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ﴾، والغرض من أمر المؤمنين بالتّقوى هنا، دوام طاعة الله ﷻ، فمن أناب إلى ربّه ورجع إليه، فهو من المتّقين، ولكنّ دوام التّقوى، هو الّذي يجليّ الفطرة، لذلك نادى الجماعة المخاطبة، أن اتّقوا الله ودوموا على تقواه[1]، وفي ذلك إشارة إلى اتّخاذ التّقوى منهجًا في الحياة، في مقابل اتّباع الكفّار لأهوائهم.

دلالةُ (الواو) في قوله ﴿وَأَقِيمُواْ﴾:

عطفُ الأمر بالصّلاة، على التزام نهج التّقات

عُطف قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، على قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾، بحرف الواو، عطف أمر ثالث على أمر ثان، وهو كالتتمّة للأمر السّابق؛ فإنّ من التّقوى إقامةَ الصّلاة، فصار العطف عطف خاصّ على عامّ، وكلاهما مفضٍ إلى قرب الله ونيل جزائه وعطائه، وذلك لما في إقامة الصّلاة من أثر، وما للتّقوى من تأثير، فهو عطف المتقاربات، في الفعاليّة والأجر والجزاء، للحثّ على سلوك نهج الرّضى[2].

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 85.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 99، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 90 (بتصرّف).

دلالةُ التّعبير بإقامة الصَّلاةَ:

إجادةُ التّقرّب إلى الحقّ، في عبادته بما شرع

أمرت الآية في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بالإقامة دون الاقتصار على الأمر بالصّلاة فقط، وذلك بإتمامها بكلّ شروطها وأركانها وخشوعها وتأديّتها لأوقاتها[1]، لما في الإقامة من معنى أداء الصّلاة، على أكمل وجه، وأكمل خشوع، فالصّلاة صلة، وكلّما أدّاها المؤمن بأكمل صورها، نال ثمرتها، فصار الأمر بإقامة الصّلاة أمرًا بدوامها وإجادتها[2].

دلالةُ الأمر في الفعل ﴿وَأَقِيمُواْ﴾:

كمالُ التّقرّب إلى الله، قرب وطاعة ونجاة

جاء الأمر بإقامة الصّلاة، في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، والغرض من الأمر هنا، هو مزيد القرب إلى الحقّ ﷻ بصورة قيّمة؛ لأنّ إقامتها على أكمل صورها، كالّذي يُذكّر كلّ يوم بالله ورضوانه، ومعيّته وتوفيقه، وهو ما يجلّي الفطرة التّي في صاحبها، فيشهد الصّلاح في حياته[3]، وذلك في مقابل شدّة إعراض الكفّار وغفلتهم عن الحقّ، ومن الإنابة إلى الله، والالتزام بشرعه وهداه، "الأمر بتقوى الله، وإقامة الصّلاة، حيث يلتقى هذا الأمر مع فطرة سليمة، أناب أصحابها إلى الله، ورجعوا إليه، بعد أن بعدت بهم الطّريق عنه"[4].

دلالةُ التّعريف بـ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

الارتباطُ بالحقّ والتّعبّد والتّقرّب، هي مجلى الإنابة إلى الله

عبّرت الآية بلفظ الصّلاة، في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، معرّفا بأل، وهي أل العهد، أي الصّلاة المعروفة عند المسلمين، وتدلّ على الصّلة بين الخلق والخالق، وصورة العبادة المثلى لله سبحانه ووسيلة التّقرّب، وفي ذلك إشارة إلى عظيم شأن التّعبّد والتّنسّك لله تعالى بها، فهي صورة التّواصل والصّلة مع الله، فمن فقدها فقد الرّابط.

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري الجامع: 21/ 55.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11421.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 46.
(4) عبدالكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 11/ 516.

دلالةُ إسناد إقامة الصّلاة إلى الضّمير:

التّعاونُ مع القربى بدل التّشيّع على الإعراض والهجران

أُسند الأمر بإقامة الصّلاة، في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، إلى ضمير الجماعة، مع أنّ الصّلاة جانب شخصيّ فرديّ؛ فهي تواصل بين العبد وربّه! ويشير ذلك إلى شأن الجماعة في إقامة الصّلاة، والتّضافر على العبادة والقربى، ممّا يزيد الفطرة رسوخًا وجلاءً، ويثمر وحدة في المشاعر والعلائق، ويشير إلى التّعاون بين المؤدّين لشعيرة الصّلاة.

بلاغةُ الالتفات من المفرد إلى الجمع:

علاقةُ خصوصيّة الأوّليّة، بعموم الاعتناء

استعمل القرآن أسلوب الالتفات في الآيتين من خطاب المفرد، في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، إلى خطاب الجماعة، في قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وتكمن براعة الالتفات هنا في تقديم مقام الرّسول ﷺ أوّلا بالخطاب؛ ففي تخصيصه بيان لمنزلته العظيمة، وخصوصيّته بأنّه مرجع هذا الدّين، ومحلّ الاقتداء عند المسلمين، وهو أوّل مخاطب بتحقيق مقاصد الدّين، وأوّل مأمور بتطبيق أصول الشّريعة وفروعها، من إنابة زكيّة، وإقامة للدّين رضيّة، والتزام بالتّقوى والعبوديّة، والأمر بذلك يرسو لديه أوّلًا، ثمّ يتعدّى إلى المخاطبين، برسالته وهديه وسنّته، من عموم أمّته.

دلالةُ التّرتيب بين الأوامر الثّلاثة:

أوامرُ الله في السّياق مرتّبة، بين الإقبال والتّخلية والتّحلية

جاءت الأوامر الثّلاثة في قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، على نسق في التّرتيب؛ فتقدّم ذكر الإنابة على الأمر بالتّقوى، لما في الإنابة من الإقبال والتّوجّه إلى الحقّ، فينتج عنه تقواه، فجاء الأمر بالتّقوى، تخليةً من النّقص، وجاء بعدها التّحلية بإقامة الصّلاة، وقد كانت التّقوى جزءًا من الإقبال على المولى، وكانت إقامة الصّلاة صورة للتّقوى، في مستواها الأعلى، وكانت بها أولى.

نكتةُ تقديم الأمر على النّهي:

وصفُ الشّرك المهين، يقابله معرفة الله بيقين

عطف قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، على قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، بحرف الواو، عطْفَ نهيٍ على أمر، فبعد أن أمر بالتّقوى، وإقام الصّلاة، وهي علامات الإنابة والإقبال على الحقّ ﷻ، حذّر من الرُّكون إلى المشركين، وبضدّها تتميّز الأشياء، وقد تقدّم الأمر على النّهي في قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، ونكتة ذلك أنّ الأصل هو الفطرة، لذلك فقد جاء الإرشاد إلى ما يجلّيها في الإنسان، ثمّ انتقل الخطاب إلى ما يخالفها، ممّا به يقع الخلل، فحذّر ممّا يكدّر صفو الفطرة، ويعكّر صفاءها، بالشّرك أو التّفرّق أحزابًا وشيعًا، فمن أناب واتّقى وأقام الصّلاة، فهو منسلكٌ في أمر الله، ومن خالف ذلك، وانسلخ من الفطرة، فهو من المشركين المنبوذين، بنصّ الآية المبين.

دلالةُ الأداة (لا):

التّعريضُ بالمشركين المفرّقين، في الدّنيا وفي الدّين

جاء التّعبير في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ باللّام، وهي لام النّهي، تمنع المؤمنين أن يكونوا من المشركين، بتضييعهم فرائضه، وركوبهم معاصيَه، وخلافهم الدّين الّذي دعاهم إليه[1]، وتدلّ أيضًا على الأمر بمقابل ذلك؛ أي لا تكونوا من المشركين، بل كونوا من الموحّدين المخلصين لله العبادة، لا يريدون بها سواه[2].

دلالةُ النّهي عن الانتساب للمشركين:

مخالفةُ زمرة المشركين، منجاة من الهلاك في الدّارين

نهت الآية عن الانسلاك مع المشركين، دون النّهي عن الإشراك مباشرة، ويدلّ ذلك على المنع من التّشبّه بهم، وفعل أفعالهم، وموافقتهم فيما يفعلون، فلم يقف النّهي عند منع الإشراك، بل

(1) فيصل آل مبارك، توفيق الرّحمن في دروس القرآن: 3/ 441.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 316.

تجاوزه إلى المنع من الدّخول في زمرة المشركين، وهو أبلغ في منع التّلبّس بأيّ وصف يتّصفون به، أو منهج يتّخذونه[1].

دلالةُ إسناد فعل النّهي إلى ضمير الجماعة:

أُسند النّهي إلى الجماعة، في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وفي ذلك دلالة على تميّز منهج المؤمنين عن منهج المشركين؛ إقبالًا على الحقّ، والتزامًا بالتّقوى، واتّصافًا بالتّعبّد والإخلاص، في مقابل إعراض المشركين عن الحقّ، واتّباعهم للهوى، وعبادتهم لغير الله، لذلك فإنّ للمشركين سبيلًا، وللمؤمنين سبيلًا آخرَ، مخالفًا له، وشتّان بين الحقّ والباطل، وبين النّور والظّلماء.

التّميّزُ عن المشركين ضرورة؛ لأنّه منوط باختلاف المنهجِ والاعتقاد

دلالةُ ﴿مِنَ﴾ في قوله ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

جاء ذكر حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، ليدلّ على التّبعيض[2]، فلا تكونوا جزءًا منهم ولا مثلَهم، في أي شيء يقومون به، من الإشراك ولوازمه، وفي ذلك إشارة إلى التّمايز التّامّ مع هؤلاء.

منعُ الانتماء إلى المشركين، وقاية من صفاتهم وشرورهم

دلالةُ التّعبير بالإشراك في النّهي:

عبّرت الآية بالإشراك في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، ويدلّ لفظ الإشراك على اتّخاذ آلهة مع الله ﷻ، والتّعبّد لغير الله، أو بالتّدين بما يخالف وحي الله[3]، فالإشراك هو اتّخاذ شيء مع الله ﷻ في عبادة أو دعاء أو تقرّب، وفي ذلك إشارة إلى غير المسلمين من عبدة الأوثان.

شركُ العبادة والالتجاء، منهيٌّ عنه في كتب السّماء

معنى (أل) في لفظ ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

عُرّف لفظ المشركين بأل في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾،

المشركون فئة معروفة بفساد المعتقد والزّلفى لغير الله

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 90.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 95.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 90.

وهي أل العهد؛ أي إنّ المقصود بالمشركين وهم المخاطبون في السّياق، وهم عبدة الأوثان؛ الّذين عبدوا مع اللّه إلها آخر[1]، وتقرّبوا إلى غير اللّه سبحانه، وتركوا نور التّوحيد وهداية الوحي، ومن المبدّلين لفطرة اللّه ﷻ[2]، وفي ذلك إشارة إلى معرفة المؤمنين بهذه الفئة[3] وتميّزها لديهم بصفات ومنهج، ومُفاد قوله في خطاب المبلّغين بالهداية: "ولا تكونوا من أهل الشّرك باللّه بتضييعكم فرائضَه، وركوبكم معاصيَه، وخلافكم الدّينَ الّذي دعاكم إليه"[4].

دلالةُ التّعبير بصيغة اسم الفاعل ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

صيغ لفظ ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل، الدّالِّ على ثبوت وصف الإشراك فيهم، وما ذلك إلّا لاختيارهم له؛ فالمشركون قد اختاروا الشّرك وارتضوه، وصار فيهم منهجًا، فلذلك ينبغي أن يتميّز المؤمنون عنهم ولا يكونوا مثلهم.

ارتضاءُ الشّرك واتّخاذُه منهجًا، ضلال وغواية

دلالةُ شبه الجملة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ﴾:

عبّرت الآية بشبه الجملة: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾، على أنّها بدل من قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[5]، فهي بيان لصفات هؤلاء المشركين الّذين نهى اللّه عن الكون منهم[6]، والمعنى: فلا تكونوا من الّذين فرّقوا دينهم، وكانوا شيعًا، فرحين بما لديهم، فالجملة استمرار في بيان المنهي عنه، ومزيد تفصيل في حال المشركين المنبوذة، وهي تنديدٌ بمن فرّقوا دينهم، و"أقاموا في دنياهم في دار الغفلة، وعناد الجهل والفترة، فركنوا إلى ظنونهم، واستوطنوا مركب أوهامهم، وثَمِلوا بِسُكْرِ غَيِّهِمْ، وظنّوا أنّهم على

بيانٌ وتفصيلٌ لحال المشركين، في التّفرّق والتّمزّق

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 47.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 60.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - أ/ 191.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 498.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 479.
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 47.

شيء، فإذا انكشف ضبابُ وقتهم، وانقشع سحابُ هجرهم، انقلب فرحُهم تَرَحًا، واستيقنوا أنّهم كانوا في ضلالة، ولم يعرجوا إلّا في أوطان الجهالة"[1].

دلالةُ تكرار ﴿مِنَ﴾ في سياقها وما قبلها:

بيانُ المزيد من تأكيد النّهي، بتفصيل المنهيّ عنه

أُعيد حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾، ليكون قرينة على تعلّق وصف تفريق الدّين بالمشركين؛ بدلًا له[2]، وتعلّق النّهي بالكون من الّذين فرّقوا دينهم، أي: لا تكونوا من المشركين الّذين فرّقوا دينهم، أي: بدّلوه وغيّروه، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض[3]، وفي ذلك مزيد تأكيد للنّهي بإظهار حرف الجرّ ثانية، مع إمكان الاستغناء عنه[4].

علّةُ التّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

أثرُ التّنفير من نهج المفرّقين لدينهم

عبّرت الآية بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لتعريف المسنَد إليه، وذلك لإفادة تحقّق معنى الصّلة فيه، فالمشركون هم من فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا، ومن فرّق دينه فلا يصحّ أن يكون المؤمنون منهم ولا مثلهم، وفيه إشارة إلى التّنفير ممّن يوصفون بهذا الوصف[5]، من الّذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو فرّقوا دينهم إلى مذاهب شتّى، واعتقادات باطلة، أو جعلوا دينهم فِرَقًا وطوائف مختلفة، وبدعًا ما أنزل الله بها من سلطان[6]، وقال مقاتل بن سليمان: يعني: أهل الأديان، فرّقوا دينهم الإسلام، أحزابًا في الدّين؛ يهودًا ونصارى ومجوسَ وغيره[7]، وضلالهم مستغرب لمعرفتهم بالحقّ، ومعلوم

(1) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: 4/ 341.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 60.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 316.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 95.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - أ/ 191.
(6) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّريّ الجامع: 21/ 56.
(7) مجموعة مؤلّفين، موسوعة التّفسير المأثور: 17/ 455.

"أنّ أهل الكتاب، لم يؤتوا من قلّة علم، وضآلة معرفة، وإنّما كان هلاكهم، لأنّهم وظّفوا ما عندهم من علوم ومعارف للبغي بينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ [آل عمران: 19]"[1].

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿فَرَّقُواْ﴾ مادّةً وصيغةً:

البعدُ عن الدّين الحقّ، فُرقةٌ وتمزّقٌ وتشرذمٌ

آثرت الآية التّعبيرَ بلفظ التّفريق، في قوله: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾، لعلّة تخصّ مادّته وصيغته، فأمّا عن مادّته، فإنّ التّفريق انفصال وترك، والمشركون انفصلوا عن دينهم الحقّ وتركوه[2]، والتّفريق قسمة لمجموع وتغيير له، والمشركون قسّموا دينهم آلهة متعدّدة وغيّروه[3]، والتّفريق تغاير وتباعد، والمشركون تغايروا بعضهم من بعض، بتعدّد آلهتهم[4]، وتباعدت قلوبهم؛ لأنّ بعضهم ينكر آلهة بعض[5]، وقد صيغ لفظ ﴿فَرَّقُواْ﴾ بصيغة الفعل الماضي، الدّالّ على حدوث التّفرُّق بعد الاجتماع، والتّعدُّد بعد الوحدة، ويدلّ أيضًا على تحقّق التّفريق منهم لدينهم، لذلك أمر المؤمنين أن لا يكونوا مثلهم.

لطيفةُ إسنادِ التّفريق إلى ضمير الجماعة:

تعاونُ المشركين على تفريق الدّين، مسلك مألوف منذ غابر الدّهور

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾، أُسند التّفريق إلى ضمير الجماعة في قوله: ﴿فَرَّقُواْ﴾، وفي ذلك إشارةٌ إلى اشتراك المشركين في التّفرّق، حين يدّعي كلّ واحد منهم الحقّ وينابذ غيره، وحين ينكرون الحقّ والفطرة، اعتدادا بآلهتهم، كأنّهم تعاونوا على ذلك، فاتّفقوا في شركهم وفي تفرّقهم.

(1) طه جابر فيّاض العلوانيّ، أدب الاختلاف في الإسلام، ص: 8.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 479.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 316.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 4/ 206.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 - أ/ 191.

توجيهُ القراءاتِ في الفعل ﴿فَرَّقُواْ﴾:

بيانُ أنّ من فرّقوا دينهم، ما فتئوا أن فارقوه

قرأ جمهور القرّاء[1] قولَه: ﴿فَرَّقُواْ﴾ من التّفريق؛ أي جعلوا دينهم مفرّقًا[2]، وقرأ حمزة والكسّائي: ﴿فَرَقُواْ﴾ من المفارقة، أي تركوا دينهم الّذي أُمروا به[3]، والّذي يجمع بين القراءتين هو حمل (فارق) على (فرّق)، مثل: ضاعفت الحسنات أي ضعّفتها، فأصل فارق وفرّق واحد، وهو التّفريق[4]، وإن اختلف الأصلان لغة، فالمفارقة أثر للتّفريق؛ فهم قد فرّقوا دينهم ففارقوه، وثمرة الخلاف في القراءة، هي بيان شؤم مفارقة الجماعة، والتّشيّع لغير كتاب الله، فقد اعتبر القرآن الحكيم، تفريق الدّين بمنزلة مفارقته، وهو تصريح شديد في ذمّ الفرقة[5].

دلالةُ التّعبير بالدّين في المفعول ﴿دِينَهُمْ﴾:

التّفرّقُ في الدّين، من أشنع التّفرّق في كلّ حين

عبّرت الآية بلفظ الدّين في قوله: ﴿دِينَهُمْ﴾، ويدلّ ذلك على أصل التّفريق، وأنّه في الدّين، أي الخضوع والتعبّد والتّقديس، ممّا يشير إلى أنّه محدّد مفروض من قوّة أعظم، وأنّ عليهم الالتزامَ به والاتّباع، لا الابتداع أو الخروج عنه، ممّا يبرز قبح جرمهم، ويدلّل على التّنفير من سبيلهم، وخطؤهم أنّهم ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: "أي آمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو فرّقوا دينهم إلى مذاهب شتّى واعتقادات باطلة، أو جعلوا دينهم فِرَقًا وطوائف مختلفة، وبدعًا ما أنزل الله بها من سلطان"[6].

دلالةُ الإضافة في لفظ ﴿دِينَهُمْ﴾:

بيانُ قُبح التّفريق في الدّين، ومفارقة الحقّ المستبين

أُضيف الدّين إلى الّذين فرّقوه في قوله: ﴿دِينَهُمْ﴾، للدّلالة على أنّ

(1) ابن أبي مريم، الموضح، ص: 1005، وابن الجزري، النشر: 2/ 266.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 2/ 208.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 4/ 207.
(4) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 8/ 530.
(5) محمّد حبش، القراءات المتواترة، ص: 235.
(6) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثريّ الجامع: 21/ 56.

لهم دينًا؛ هو دين الفطرة، وأنّه دين واحد، هو دين الإسلام والحقّ، ممّا يقبّح فعلهم في تقسيم الدّين الواحد، ومفارقة الدّين الحقّ، فذلك أصلُ فطرتهم، والحقُّ الّذي ينبغي أن يثوبوا إليه، فـ" ظاهرُ القرآن يدلّ على أنَ كلَّ من ابتدع في الدِّين بدعة من الخوارِج وغيرهِم، فهو داخلٌ في هذه الآية، لأنَهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا وتفرّقوا"[1].

معنى (الواو) في قوله ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾:

كونُهم صاروا شيعًا، فيه مزيد من التّنفير والتّفظيع

عُطفت جملة ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ على جملة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾، عطْفَ تفصيلٍ وترتّب؛ فقد وُصف المشركون بأنّهم فرّقوا دينهم، وهذا من قبيح ما يوصفون به، ثمّ زاده توضيحًا، ببيان ما يترتّب على ذلك ضرورةً، وهو تشيّع كلّ فرقة لمعبودها، وانتصارها لدينها الباطل المزعوم، ممّا يزيد المنسوبين إليها تشرذمًا، وعليه، فقد كان سبيل المشركين مستفظعًا مستبشعًا بهذا الاعتبار.

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿شِيَعًا﴾:

المشايعةُ اتّباع ونصرةٌ، بحقّ وبباطل

اختارت الآية التّعبيرَ بلفظ ﴿شِيَعًا﴾، وهو جمعٌ مفرده (شيعة)، وتدلّ على المناصرة والتّحالف بين فئة معيّنة مهما كانت الحال[2]، بناء على اتّباع مبدأ معيّن[3] يتوافقون عليه[4]، فصار لكلّ دين من تلك الأديان مجموعة متّفقة عليه، ولم يقف الأمر عند التّوافق، بل انتقل إلى المناصرة عليه، سواء أكان حقًّا أم باطلًا، فالمناصرة ثابتة؛ دون نظر إلى مقياس الحقّ.

دلالةُ ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ دون (تشيّعوا):

أصالةُ كونهم شيعًا، وتجذّر ذلك فيهم

عدل التّعبير من (تشيَّعوا)، الموافق لقوله: ﴿فَرَّقُواْ﴾ إلى التّعبير

(1) الشاطبيّ، الاعتصام: 1/ 89.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11425.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 479، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 47، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 148.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 96.

ب: ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾، ويدلّ ذلك على أنّهم كابدوا جهدهم في تلك الفرقة والتّفريق[1] فثبت فيهم وصف التّشيّع بكلّ معانيه، من التّشرذم والتّكفير والتّلاعن والتّناحر، فهم شيع صادفوا تفرّقًا، فازداد تفرّقهم، حتّى صاروا شيعًا وأوزاعًا.

نكتةُ فصل جملة الفاصلة:

الجملة المستأنفة، تتضمّن التّنفير من كونهم شيعًا وأحزابًا

فُصلت جملة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ عمّا قبلها، والعلّة في فصلها هي مزيد التّعجّب من حال هؤلاء المشركين[2]، الّذين يفرّقون دينهم ويتمزّقون شيعًا وأحزابًا، والعجب أنّ كلّ شيعة منهم فرحون بما لديهم، فالجملة استئناف وتذييل؛ لأنّ التّفرّق يقتضي التّحزّب[3]، وهي تقرير لمضمون ما قبلها[4] ومزيد تنفير من سبيل المشركين المؤدّية للخيبة والهلاك، بلا نجاة ولا إدراك.

دلالةُ التّعبير بلفظ العموم ﴿كُلُّ﴾:

اتّفاقُ الشّيع على الضّلال، سفه رأي، واتّباع هوى

ابتدأت جملة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، بـ﴿كُلُّ﴾، الدّالّة على العموم؛ فما من شيعة من هؤلاء إلّا وهي فرِحةٌ بما لديها، وفي ذلك إشارة إلى اتّفاقهم على الضّلال واجتماعهم على اتّباع الهوى، في أوليّات حياتهم، وهو الدّين، والمقصود بلفظ ﴿حِزْبٍ﴾ فريق فرحون بما لديهم من الدّين الزّائف، القائم على غير صواب، فهم "مسرورون مبتهجون، يظنّون أنّهم على الحقّ، وليس بأيديهم منه شيء، والجملة اعتراض مقرّر لما قبله من تفريقهم دينَهم، وكونهم شيعًا[5].

نكتةُ الإضافة في ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾:

الإيمانُ جمع وتقريب، والشّرك تحزيب وتفريق

أُضيف لفظ ﴿كُلُّ﴾ إلى الحزب، في قوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾، ونكتة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 90.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 91.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 73.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 61.
(5) صدّيق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 10/ 249.

الإضافة هنا، هي المفارقة بين الكليّة الجامعة، في ﴿كُلُّ﴾ والحزبيّة المفرّقة في ﴿حِزْبٍ﴾، في إشارة إلى سفاهة عقولهم، وعدم تيقّظهم لما يشتركون فيه، وتقويمِ تحزّبهم بالحقّ بدل الهوى، وهذا أمر من الله جلّ ذكره بلزوم الجماعة، وترك تفريق الكلمة، وتنبيه منه أنّ الفرقة مرتبطة بالضّلالة[1]، وأنّها مفسدة للحاضر، ونسفٌ للمستقبل، تثير الظّغائن، وتحرّك الكوامن، وتضرّ بأصحابها بيقين لا مندوحة منه، ولا انفكاك عنه.

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿حِزْبٍ﴾ وتنكيره:

التّحزّبُ توزّع مقيت، وصراع مهلك مميت

آثرت الآية التّعبير بالحزبيّة، في قوله: ﴿حِزْبٍ﴾، لدلالته على الفئة الّتي تجتمع على أمر من اعتقاد أو عمل[2]، فتكون نزعتهم واحدة[3]، وقد جاء لفظ ﴿حِزْبٍ﴾ نكرة، ليدلّ على أي فئة كانت؛ مهما عظمت أو صغرت، وفي ذلك إشارة إلى التّشرذم والتّوزّع، وكثرة الأحزاب بلا مسوّغ، فكيف إذا كان الهوى، هو ما يجمع كلّ حزب، وهم مغترّون به؟.

معنى (الباء) في القيد ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾:

فرحٌ بما ليس للفرح بسبب، سوء فَهْمٍ وانحراف معتقد

جرّ الموصول بحرف الباء، في قوله: ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وتدلّ الباء على تعلّق الفرح بما يجمعهم من دين، وتسبّبه في الفرح، وفي ذلك استغراب: فهل هذا الأمر هو سبب مناسب للفرح؟ وسببٌ كافٍ للتحزّب والتشيّع؟ إنّ "كلّ طائفة من هؤلاء الّذين فارقوا دينهم الحقّ، وأحدثوا من البدع ما أحدثوا، فرحون بما هم به مستمسكون، ويحسبون أنّ الصّواب لا يعدوهم إلى غيرهم، من النّحل والمذاهب الأخرى"[4].

(1) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 9/ 5689.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 73.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 96.
(4) المراغي، تفسير المراغيّ: 21/ 47.

علّةُ التّعبير بالموصول (ما) في السّياق:

بيانُ قبح الفرح بغير الحقّ

عبّر سياق الآية عمّا يفرحون به بالموصول (ما)، الدّالّة على عموم ما يَفرحون به مهما عظم شأنه أو حقُر، أكان مبنيًّا على حقّ أم على أوهام، فهم فرحون به، مهما كان هو، وما بني عليه، وفي ذلك تصوير لقبح هذا الفرح الّذي يترك الفطرة ويفرح بغيرها.

دلالةُ التّعبير بلفظ (لَدَى) دون (عند):

انحصارُ الفرح عن قرب، على مبدأ (أنْ لا حزنٌ يدوم ولا سرور)

آثرت الآية التّعبيرَ بـ﴿لَدَيْهِمْ﴾، مع إمكان أن تكون الجملة: (بما عندهم فرحون)، ويرجع ذلك إلى دلالة (لدى) على الحاضر في حوزة اليد أو القريب، خلاف دلالة (عند)، وفي ذلك إشارة إلى وقوف هؤلاء عند الحاضر بين أيديهم، دون نظر إلى ما وراءه: من موافقة الحقّ، من الإعداد للمآل، بمطابقة الأصل، وترقّب العواقب، فليس لديهم بعد نظر كالّذي يقف عند يومه، ويحصر نظره فيما يهواه فقط، وفرحهم بما لديهم، لما لهم من سلطة زمنية، ولما لهم من مكانة يخافون أنْ تهتزّ، كالسّلطة الزّمنية التي منعتْ يهودَ المدينة من الإيمان برسول الله، مع أنّهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويعرفون زمانه، وكانوا يقيمون بالمدينة ينتظرون ظهوره"[1].

دلالةُ الإضافة في قوله: ﴿لَدَيْهِمْ﴾:

بيانُ أنّ الفرح بما هو خاصّ، متقرّر لديهم

أُضيف (لَدَى) إلى ضمير (هُمْ) في قولك: ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وتدلّ الإضافة هنا على خصوصيّة ما يفرحون به، وأنّه من خاصّ ما عندهم من الضّلال[2]، فهم لا يفرحون بالحقّ، ولا بما يرضي الله، بل بما لديهم خاصّة[3]، ويشير كذلك إلى أنّه أمر متقرّر لديهم، لا يشكّون فيه ولا يرتابون، فهم إنّما يفرحون بما هو خاصّ،

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11426.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 91.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 99.

متقرّر لديهم، ممّا اجتمعوا له وتحزّبوا لأجله، وتشيّعوا وتناصروا في سبيله.

نكتةُ تقديم القيد ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ على الخبر:

دناءةُ ما يفرحون به، دليل على سقوط همّتهم، وقلّة عقولهم

قُدّم القيد ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ على الخبر ﴿فَرِحُونَ﴾، ونكتة تقديمه هنا، هي الاهتمام بما يفرح به، فليس القصد ذكر فرحهم، وإنّما ذكر ما يفرحون به، وأنّه ليس بالأمر الّذي يستحقّ أن يُفرحَ به، ففي تقديم القيد إشارة إلى دناءة ما يفرحون به.

دلالةُ التّعبير بالفرح في الخبر ﴿فَرِحُونَ﴾:

التّأثّرُ بالهوى والإلف، دون وعي ونظر، من أسوأ التّأثّر

عبّرت الآية بالفرح في الخبر ﴿فَرِحُونَ﴾، ويدلّ الفرح على انطباع نفسيّ، وانشراح في الصّدر، ورضى وابتهاج[1]، ومعناه أنّ كلّ حزب منهم، صار مسرورًا بما لديه من دين باطل، وملّة فاسدة، وعقيدة زائفة، وهذا الفرح بالباطل سببه جهلُهم، وانطماسُ بصائرهم عن الانقياد للحقّ[2]، وفي ذكر فرح هؤلاء بما عندهم، إشارة إلى احتكامهم للعواطف، والمعتادِ لديهم بدل الحقّ[3]، حتّى يُحسب الباطل حقًّا[4]، فهم متأثّرون بما يحبّون، ومفتونون بما عندهم[5]، وذلك أضلّ لهم[6].

نكتةُ صياغة الفرح على صيغة (فَعِل):

الدّينُ لا يحكمه انفعال نفسيّ عابر، بل هو عقيدة ويقين

صيغ لفظ ﴿فَرِحُونَ﴾ على وزن (فَعِلون)، ومفردها فرِحٌ بوزن (فَعِلٌ)، ونكتة ذلك هو دلالة هذه الصّيغة على الانفعالات الباطنيّة للإنسان، والّتي تعرض وتزول[7]، ممّا يشير إلى عدم استقرارها،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 96.
(2) سيّد طنطاويّ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 11/ 85.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 73.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 479.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 390.
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 337.
(7) السّامرائيّ، معاني الأبنية، ص: 69.

فهؤلاء فرحون بما لديهم اليوم، وقد يحزنون به غدًا عند لقاء ما هو أكثر أثرًا، وأشدّ مساوقة لهواهم، فينقلبون عمّا كانوا فرحين به، وفي ذلك مزيد تصوير لقبح موقفهم، ومغبّة تحزّبهم، وسوء مآلهم؛ لأنّهم: "أقاموا في دنياهم في دار الغفلة، وعناد الجهل والفترة، فركنوا إلى ظنونهم، واستوطنوا مركب أوهامهم، وتَمِلوا بِسُكْرِ غَيِّهِمْ، وظنّوا أنّهم على شيء، فإذا انكشف ضبابُ وقتهم، وانقشع سحابُ هجرهم، انقلب فرحُهم تَرَحًا، واستيقنوا أنّهم كانوا في ضلالة، ولم يعرجوا إلّا في أوطان الجهالة"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإنابة والتّوبة والرّجوع:

الإنابةُ تكرّر رجوع وشدّة توبة، والرّجوع عود إلى حال البدء بالأوبة

تجتمع الإنابة والتّوبة والرّجوع في العودة، وتفترق؛ فالتّوبة توقّف وانقطاع عن الذّنب[2] وتركه إلى الطّاعة[3]، والإنابة رجوع متكرّر[4]، لذلك فالإنابة أشدّ من التّوبة؛ فإذا كانت التّوبة هي الإقلاع عن المعاصي، فإنّ الإنابة هي ترك المعاصي في المستقبل[5]، والرّجوع عود، ولكن إلى ما كان منه البدء[6]، وفرَّق بعض العلماء بين الإنابة والتّوبة: بأنَّ التّائب قد يرجع من خوف العقوبة، والمنيب يرجع استحياء من كرم الله تعالى، - والْإِنابَة الرُّجوع إِلَى الطّاعَة، وفي هذا المضمار قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: إذا صدق العبد في توبته صار منيبًا، وقال أبو سعيد القرشيّ: المنيب، الرّاجع عن كلّ شيء يشغله عن الله إلى الله[7]، فتميّزت الإنابة بتكرّر الرّجوع،

(1) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: 4/ 341.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (توب).
(3) الراغب، المفردات: (توب).
(4) الراغب، المفردات: (نوب).
(5) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 146.
(6) الراغب، المفردات: (رجع).
(7) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 303، وكذلك: أحمد بلال البيانونيّ، مقال: الفرق بين التّوبة والأوبة والإنابة، رابطة هيئة علماء سوريا (فتاوى)، مارس 2020م (على الشّابكة).

في حين تميّز الرّجوع، بالعود إلى نقطة البدء، ولذلك ناسب لفظ ﴿مُنِيبِينَ﴾ سياق الآية الدّاعي إلى الاخلاص والصّدق في القول العمل الذي يتطلّب دوام الرّجوع إلى الله بترك المعاصي.

التّقوى والخوف والخشية:

تجتمع التّقوى والخوف والخشية في الخوف، وهو توقّع مكروه من أذى أو ضرر، خلاف الأمن[1]، وينتج عن الخوف تقوى باتّخاذ وقاية ممّا يخاف[2]، فصارت التّقوى أثرًا للخوف[3]، قال بعض السّلف: التّقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تدع معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، والرّسل جميعًا دعوا أقوامهم إلى تقوى الله تعالى، حيث يرفع كلّ منهم عقيرته، قائلًا لقومه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ [آل عمران: 50]، وقد جعل القرآن وصية الله تعالى للبشر برمّتهم التّقوى، فقال في محكم التّبيان: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النّساء: 131]، وأمّا الخشية فتتميّز عن الخوف، في أنّها خوف عن علم بما يخشى منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ﴾ [النّساء: 25][4]، فقد صارت الخشية درجة في الخوف، أي خوف مع تعظيم، وقد جمعها قول الحقّ سبحانه: ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ۝٢١﴾ [الرّعد: 21]، وفي العلاقة بالله ﷻ: فخوف الله خوف من سخطه وعقابه، وتقوى الله خوف يدفع لاتّخاذ وقاية من غضب الله، بترك معاصيه، وخشية الله خوف مع مهابة وتوقير لله، لذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]، وترك المعاصي خوفًا من غضب الله تعالى يناسب لفظ الإنابة، وإقامة الصلاة فكلٌّ منها مُرتبطٌ بالآخر، ومُتمّمٌ له.

توقّعُ مكروه، وجعل وقاية وشدّة خوف، مع عرفان ومهابة

(1) الراغب، المفردات: (خوف).
(2) الراغب، المفردات: (وقي).
(3) الراغب، المفردات: (وقي).
(4) الرّاغب، المفردات: (خشي)، والعسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة، ص: 218.

التّفريق والتّقسيم:

التّفريق والتّقسيم متقاربان؛ إذ يدلّان على تفصيل لشيء واحد مشترك، والتّفريق "هو أن تقصد إلى شيئين من نوع، فتوقع بينهما تباينًا"[1]، و"تفريقًا بذكر ما يفيد معنى زائدًا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك"[2]، وأمّا التّقسيم "فهو أن تذكر شيئًا ذا جزءين أو أكثر، ثمّ تضيف إلى كلّ واحد من أجزائه ما هو له عندك"[3]، فهو استيفاء أقسام الشّيء الموجودة، لا الممكنة عقلًا[4]، فالتّقسيم يتميّز بأنّه فرز الكلّ إلى أنصبة، مثل قسمة المواريث، وقسمة الغنيمة، أي: تفريقها على أربابها، يقول سبحانه: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٞ ٤٤﴾ [الحجر: 44][5]، فالتّقسيم هو جعل الشّيء أقسامًا، وليس بالضّرورة أن يُفصَل بينها، أمّا التّفريق فهو الفصل بين الأقسام، وقطع الاتّصال بين شيئين أو أكثر[6]، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [البقرة: 50]، والفرق: القطعة المنفصلة، ومنه: الفِرقة للجماعة المتفرّدة من النّاس[7]، وهذا المعنى علّة اختيار لفظة ﴿فَرَّقُواْ﴾ في سياق التعديد إلى شيع، وجماعات.

التّفريقُ فصل، والتّقسيم تمييز، وكلاهما لفظ قرآنيّ فصيح

الشّيعة والجماعة:

الشّيعة والجماعة مجموعة، وتتميّز الجماعة بأنّها فئة مؤلّفة من أفراد، يضمّها معنى مشترك، فالجمع هو ضمٌّ وتقريبٌ لشيء إلى شيء، يقال: جمعته فاجتمع، وقال ﷻ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩﴾ [القيامة: 9][8]، أمّا الشّيعة فهي جماعة بين أفرادها معنى مشترك، وتوافق ونصرة،

الشّيعةُ جماعة متناصِرة، والجماعة فئة متلاقية أو متجاورة

(1) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 425.
(2) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 311.
(3) السّكاكي، مفتاح العلوم، ص: 425.
(4) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 305.
(5) الرّاغب، المفردات: (قسم).
(6) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 129.
(7) الرّاغب، المفردات: (فرق).
(8) الراغب، المفردات: (جمع).

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ [القصص: 4]، أي ينتصر كلّ أفراد فرقة لفرقتهم[1]، وشيعة الرّجل هم الجماعة المحبّة له، حبًّا متميّزًا وهم القوم الّذين يجتمعون على الأمر يتبع بعضهم بعضًا، وإن لم يكونوا جميعًا متّفقين[2]، ومعنى لفظ الشّيعة يناسب سياق الآية من حيث اجتماعُهم على تفريق دينهم يتبع بعضهم بعضًا.

الحزب والزُّمرة:

الحزب للكثرة المتعاونة، والزّمرة للقلّة المتّحدة في شتات

الحزب والزّمرة هي أنواع من الجماعات، إلا أنّ بينهما فروقا؛ فالحزب جماعة كبيرة يتعاونون على أمر[3]، يقال حزب أي جمع، وحزب القرآن لمجموعة من السّور أو الآيات، يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢﴾ [الكهف: 12][4]، أمّا الزّمرة فهي جماعة قليلة، ومنه قيل: شاة زمرة أي قليلة الشّعر[5]، إلا أنّ في الزّمرة تضامًّا قَويًّا مستمرًّا[6]، وهي فئة متحّدة في مجموعة مفرّقة[7]، يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزّمر: 73]، والزّمرة جماعَة لَها صَوت لا يُفهم، وقالَ أبو عُبَيْدَة الزّمرة جماعَة في تَفْرِقَة[8]، يقال: جاؤوا زمرًا، أي جماعات في تفرقة، بعضها إثر بعض، قال شيخنا: قال بعضهم: الزّمرة مأخوذ من الزّمر الّذي هو الصّوت، إذ الجماعة لا تخلو عنه، وقيل: هي الجماعة القليلة[9]، ولمّا كان من تفرّقَ شيعًا من الممكن أن يكونوا كثيري العدد متعاونين على أمرٍ ناسب اختيار لفظ ﴿حِزۡبٖ﴾.

(1) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 307.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (شيع).
(3) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 415.
(4) الرّاغب، المفردات: (زمر).
(5) الراغب، المفردات: (زمر).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (زمر).
(7) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 415.
(8) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 415.
(9) الزَّبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس: (زمر).

الفرح والسّرور:

الفرح سرور ظاهر بعاجل، والسّرور انبساط بحقّ، ويكون في سرّ

ما يجمع بين الفرح والسّرور، هو الانبساط لنيل محبوب أو توقّعه[1]، ويفترق الفرح، بأنّه درجة في الانشراح متقدّمةٌ، يغلب عليه التّعلّق بلذّة عاجلة، حتّى صار مذمومًا، فلهذا قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 23][2]، في حين أنّ السّرور فهو انشراح الصّدر أيضًا، إلّا أنّه من السّرّ والإسرار خلافَ العلانيّة والإعلان، فهو ما يُنكتم من الفرح، فهو فرح في أصله لكنّه غير مبالَغٍ فيه، يقول سبحانه: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: 11][3]، ومن الفروق بينهما أنّ نقيض السّرور هو الحزن، أمّا نقيض الفرح فهو الغمّ[4]، والحزن هو انقباضٌ بما حدث، والغمّ هو الضّيق والكربة، فصار الغمّ مرحلةً متقدّمة في الحزن، كما صار الفرح مرحلةً متقدّمة في السّرور، ثمّ إنّ الفرح هو الغبطة النّاجمة عن شيء حدث دون جهد منك، والسّرور هو الغبطة النّاجمة عن شيء فعلته أو بذلت فيه جهدًا، ولمّا كان الفرح تعلّقًا بلذّة عاجلة، حتّى صار مذمومًا، ناسب اختيارُه في سياق الآية بوصف من يفرّق دينه شيعًا لذّته زائلة.

(1) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 175.
(2) الرّاغب، المفردات: (فرح).
(3) الراغب، المفردات: (سرر).
(4) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة بترتيب وزيادة للمحقق بيت الله بيات، ص: 227.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»